

تفسير البحر المحيط

@ 179 @ الرابع : الحذف ، وهو في مواضع : منها : أن الذين كفروا ، أي أن القوم الذين كفروا بآء وبك وبما جئت به . ومنها : لا يؤمنون بآء وبما أخبرتهم به عنه . ومنها : ختم آء على قلوبهم فلا تعي وعلى أسماعهم فلا تصغي . ومنها : وعلى أبصارهم غشاوة على من نصب ، أي وجعل على أبصارهم غشاوة فلا يبصرون سبيل الهداية . ومنها : ولهم عذاب ، أي ولهم يوم القيامة عذاب عظيم دائم ، ويجوز أن يكون التقدير : ولهم عذاب عظيم في الدنيا بالقتل والسبي أو بالإذلال ووضع الجزية وفي الآخرة بالخلود في نار جهنم . الخامس : التعميم : وهو في قوله : { وَلَلَّهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } ، فإنه لو اقتصر على قوله عذاب ولم يقل عظيم لاحتمل القليل والكثير ، فلما وصفه بالعظيم تم المعنى وعلم أن العذاب الذي وعدوا به عظيم ، إما في المقدار وإما في الإيلام والدوام . السادس : الإشارة ، فإن قوله : { سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ } إشارة إلى أن السواء الذي أضيف إليهم وباله ونكاله عليهم ومستعل فوقهم ، لأنه لو أراد بيان أن ذلك من وصفهم فحسب لقال : سواء عندهم ، فلما قال : سواء عليهم ، نبه على أنه مستعل عليهم ، فإن كلمة على للاستعلاء وهو الذي قاله هذا القائل من أن على تشعر بالاستعلاء صحيح ، وأما أنها تدل على أن الكلام تضمن معنى الوبال والنكال عليهم فليس بصحيح ، بل المعنى في قولك سواء عليك وعندك كذا وكذا واحد ، وإن كان أكثر الاستعمال بعلی ، قال تعالى : { سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَدْعَوْاَهُمْ إِلَى الدِّينِ أَمْ يَدْعُوا بِهِمْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ يُدْعَى لَهُمْ أَمْ لَا يَدْعَى لَهُمْ لَمَّا أُمِرُوا بِالْإِسْلَامِ } .

2 ({ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ }) (2 .

{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ

بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّاهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا
أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ } ، الناس : اسم جمع لا واحد له من لفظه ، ومرادفه :
أناسي ، جمع : إنسان أو إنسي . قد قالت العرب : ناس من الجن ، حكاة ابن خالويه ، وهو
مجاز إذ أصله في بني آدم ، ومادته عند سيبويه رحمه الله والفراء : همزة ونون وسين ،
وحذفت همزته شذوذاً ، وأصله أناس ونطق بهذا الأصل ، قال تعالى : { يَا وَيْلَى لَيْلَى لَيْلَى
كُلَّ لَيْلَى } ، فمادته ومادة الإنس واحدة . وذهب الكسائي إلى أن مادته
نون وواو وسين ، ووزنه فعل مشتق من النوس وهو الحركة ، يقال : ناس ينوس نوساً إذا تحرك
، والنوس : تذبذب الشيء في الهواء ، ومنه نوس القرط في الأذن وذلك لكثرة حركته . وذهب
قوم